من هنا ومن هناك

ضوء جديد على قضية دريفوس

نعرف ما لقضية دريفوس الشهيرة من أهمية وآثار بالغة فى تاريخ فرنسا المعاصر السياسى والاجتماعى . وقد مضى اليوم زهاء ثلاثين عاماً على خاتمة تلك القضية الشهيرة التى حكم فيها على الضابط البرىء الفريد دريفوس بالنفى والتجريد ، واستمرت أدوارها بين إعادة نظر ونقض وأحكام مختلفة مدى عشرة أعوام ، تأثرت خلالها الحياة الفرنسية العامة أيما تأثير ؛ ثم حكم نهائياً بتبرئة الضابط المظلوم ورد اليه حقوقه واعتباره . ومع ذلك لم تُقل بعد آخر كلمة فى هذه القضية الشهيرة . فقد صدر أخيراً كتاب بالفرنسية بقلم هنرى ما زيل عنوانه « تاريخ قضية دريفوس ونفسيتها » يذهب فيه المؤلف إلى رأى جديد يوفق فيه بين رأى القائلين ببراءة دريفوس ، ورأى خصومهم ، وأنه لم يكن فى المسألة كلها خائن ولا متهم ؛ وأنه إذا كان ثمة متهم ، فهو متهم من نوع خاص لأنه لم يكن سوى الكولونل شفارتز كوبن الملحق الحربى للسفارة الألمانية ، فهو الذى دبر الدسيسة كلها ، وعمل على تغرير أركان الحرب وخديعته

ذلك أن الكولونل لاحظ منذ مدة أن مدام بستيان خادمة السفارة تحمل دائماً قصاصات الورق التى يلقيها فى سلة المهملات إلى قلم المخابرات الفرنسى ؛ ففكر عندئذ فى أن يخترع حكاية « البردرو » وهى الوثيقة التى كانت أصل القضية كلها ، فكتب عندئذ هذه الوثيقة بنفسه ، مقلداً فيها خط الضابط استرهازى الذى كان لديه نماذج من خطه لأنه كان يكاتبه ؛ ولما كتب الوثيقة مزقها بعد ذلك ، وألقاها فى سلة المهملات ؛ فأخذت مدام بستيان القصاصات كالمعتاد إلى قلم المخابرات

ويؤيد مسيو مازيل رأيه بأدلة منها أن « البردرو » كان مكتوباً بفرنسية ركيكة لا يمكن أن تصدر من ضابط فى أركان الحرب مثل دريفوس ، ولا يمكن أيضاً أن تكون من كتابة استرهازى لأنه كان يكتب خطاباته دائماً فى أسلوب مختار ؛ وكل الدلائل تدل على أن « البردرو » إنما كتبه رجل بالفرنسية يفكر بلغة أخرى

وقد أثارت نظرية مسيو مازيل اهتماماً كبيراً فى دوائر التاريخ والقضاء ؛ ونالت تأييداً كبيراً

آثار ملكة سبأ

ما زالت اساطير المصر القديم التى تجرى مجرى التواريخ تثير طلعة الباحثين والمكتشفين ؛ فهم يحاولون فى فلسطين مثلاً أن يعثروا بآثار سليمان وداود ؛ ويحاولون أن يكتشفوا بقايا « ارم ذات العماد » فى بلاد العرب . وهنالك من يحاول أن يكتشف آثار ملكة سبأ فى بلاد الحبشة ، وذلك هو الكونت بيرون دى بورك العلامة الأثرى البولونى ، وهو ممن يعشقون الأساطير القديمة ويهيمون بتحقيقها ، وقد اكتشف من قبل فى تلك المجاهل قبر « تيئى هتان » الذى كان يعتبر من قبل خرافة ، ومنذ أشهر عاد إلى الحبشة من طريق السودان المصرى ، ليحاول البحث عن مناجم سليمان الذهبية ، وآثار ملكة سبأ الشهيرة ؛ وعكف على البحث مدى حين فى هضاب بلاد يامو ؛ ولكنه لم يظفر بآثار حقيقية تكشف عن حقيقة تلك الأساطير الشهيرة ؛ بيد أنه استطاع أن يجمع كثيراً من المعلومات الأثرية الهامة عن تلك المنطقة ؛ وربما عاد فى فرصة قريبة ليستأنف مباحثه

والواقع أن من الصعب أن نقتنع بصحة أمثال هذه الأساطير من الوجهة التاريخية . وقد يكون لبعضها أساس تاريخى ، ولكن الأسطورة تحيط به وتجرده من حقيقته الأولى لتخرجه لنا فى ثوب خرافى محض . ومن هذا القبيل أسطورة قبر « الأسكندر » المقدونى ، وكونه قد دفن بالأسكندرية ، فقد اهتم المستر هوارد كارتر مكتشف قبر توت عنخ آمون بهذه الرواية . وأخذ بالفعل يبحث عن تحقيقها تمهيداً لاكتشاف قبر الأسكندر . على أن لهذه الأسطورة مهاداً أخرى ، إذ يروى أن الأسكندر دفن بالشام ، أو ببلاد الفرس ، وقد ذهبت جهود العلماء لتحقيقها سدى منذ نصف قرن

التنافس بين الفاشستية والهتلرية على استعباد الشعوب

كثر الجدل أخيراً بين الصحف الألمانية والصحف الايطالية، وانفردت الصحف الألمانية الى جانب الصحف الروسية بالحملة على مشاريع إيطاليا وجهودها الاستعمارية، ولاسيما في بلاد الشرق الأدنى. وتنتهز الصحف الألمانية هذه المناسبة للحملة على « الفاشستية » والمقارنة بينها وبين « الاشتراكية الوطنية » (الهتلرية) الألمانية؛ وقد نشرت مجلة « فولك أوند رخت » (الشعب والحق) البرلينية أخيراً فصلاً تندد فيه بخطط إيطاليا وبالفاشستية الايطالية، وتقول إن سلام شعوب الشرق الأدنى لا تحققه الفاشستية التي هي في الواقع عنوان عصر قد ختم؛ أما « الاشتراكية الوطنية » فهي بالعكس نظام جديد، قد خلق أسلوباً جديداً للتفكير يعارض كل ما تذهب اليه النظرية الغربية في شأن الدولة والرأسمالية، ولا سلام للشرق إلا باعتناق مبادىء الاشتراكية الوطنية. وقد ردت جريدة « جورنالي ديتاليا » الايطالية على هذه الحملة، فقالت إنه يراد أن يخلق تعارض بين الفاشستية والاشتراكية الوطنية، وأن يتخذ من هذا التعارض أساساً لمنافسة سياسية تزمع ألمانيا أن تقوم بها ضد إيطاليا في الشرق الأدنى، وتسلم الصحيفة الايطالية بوجود فروق جوهرية بين الفاشستية والاشتراكية الوطنية، ولكنها تنوه بما تقوم عليه النظرية الألمانية من التفاضل بين الأجناس، وأنها تطالب بوحدة الأمم من الوجهة الجنسية. والواقع أن أمم الشرق الأدنى تتكون اليوم من مزيج من الأجناس المختلفة، وتتكون كل منها حول الجنس الغالب؛ فاذا فكرت في ألا تطبق المبادىء الهتلرية فعليها أن تمزق نفسها مختارة، وأن تتنازل عن أجزاء من أراضيها تعمرها الأجناس الدخيلة أو المنحطة

وهكذا يتم هذا الجدل عن غايته، فأنصار الاشتراكية الوطنية يزعمون أنهم أحق باستعمار الأمم وبسط نفوذهم عليها؛ ويعارضهم أنصار الفاشستية في هذه الدعوى؛ وأمم الشرق تستهدف في الحالين الى مطامع الاستعمار ودسائسه؛ ومن المفيد أحياناً أن تتبع الأمم الشرقية مثل هذا الجدل لتقف على ما تبطنه الفاشستية الايطالية أو الهتلرية أو غيرها من الدعوات والمبادىء الخلابة نحوها من ضروب الغدر والعدوان

المسرح والسينما

كتب كاتب في جريدة « الطان » نبذة شائقة عن المسرح والسينما وما يضطرم بينهما من منافسة ينوء بها المسرح. ومنذ حين يثور الجدل حول هذا الموضوع، وتتجه معظم الآراء الى أن تقدم الفن السينمائي كان ضربة قاضية للمسرح، وأن المسرح يتدهور بل ينحدر الى الفناء بسرعة، وأن السينما قد انتزعت منه معظم روّاده ومحبيه. ويقول لنا كاتب « الطان » إن هذه الجلسات السينمائية الصغيرة، ومناظرها الشعرية الغريبة، قد خلبت حقاً ألباب الناس، غير أنه يذهب الى رأي جديد فيما يتعلق بتقدم الفن السينمائي؛ فهو يرى أن السينما ليس لها من الوجهة الفنية عدو ألد من نفسه، وأخطر من نجاحه، فهو من من جهة عبد القوة المالية يطيعها طاعة عمياء، ومن جهة أخرى عبد المخرجين (مخرجي المناظر). ولما كانت الأشرطة السينمائية لغة عالية، فان مخرجيها لا يفكرون إلا في إخراج أشرطة ومناظر تجتذب أعظم مجموعة من الرواد، ويمكن أن تعرض في نفس الوقت في يوكوهاما وبرلين وباريس ولندن ونيويورك وشنغهاي، والنجاح يغدق المال. على أن هذا النجاح نفسه يحمل المخرجين على أن يتحروا دائماً التأثير في العدد، ونجاح الكمية لا نجاح النوع، ومن ثم كانت جمهرة « الأفلام » المماثلة في المناظر والأذواق العامة، وهي مناظر أصبحت معروفة يتوقعها ويتنبأ بها الجمهور بلا مشقة، وهذا الاتجاه المادي المحض الذي يتخذه الفن السينمائي يثير اليوم بين الكثيرين ضجراً وخيبة أمل، وهؤلاء يرون أن الفلم لم يعد يرضي أذواقهم وأمانيهم الفنية، وأن المسرح هو الكفيل بتحقيق هذه الأذواق والأماني

ولهذا يتجه الكثيرون اليوم صوب المسرح، ويعود المسرح فيحرز بعض النجاح والانتعاش، ولكنه انتعاش بطيء يحتاج الى وقت غير قصير، غير أنها على أي حال ظاهرة تدعو الى التفاؤل. وفي وسع أنصار المسرح والفن المسرحي أن ينتهزوا هذه الفرصة فيضاعفوا جهودهم لتجديد المسرح من الناحية الفنية؛ ويستطيع الكاتب المسرحي أن يؤدي في ذلك التجديد دوراً خطيراً، إذا استطاع أن يزود المسرح بطائفة من الآراء والمناظر المبتكرة